مصادر الإمام السيوطي
في كتابه: «الأشباه والنظائر في النحو»
وقيمتها التاريخية

الدكتور رمضان عبد التواب

مؤلف هذا الكتاب هو الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال الخضيري السيوطي، وهو من علماء مصر الكبار في أواخر القرن التاسع الهجري، وأوائل العاشر، فقد ولد سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١ هـ .

وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتاب خصصه لذلك، وهو كتاب: «التحدث بنعمة الله»، الذي نشرته السيدة «إليزابيث ماري سارتين E. M. Sartain وطبعته في المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة سنة ١٩٧٢م، كما ترجم لنفسه كذلك في كتابه: «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة».

وقد أغنى السيوطي المكتبة العربية، بمؤلفات تفوق الحصر، في شتى فنون العربية، منها الكتب ذوات الأجزاء المتعددة، ومنها ماهو متوسط الحجم، ومنها الرسائل الصغيرة، التي لاتجاوز الصفحتين أحياناً.

أحصى له بروكلمان في كتابه: «تاريخ الأدب العربي» (GAL II 143; S II 178) كتبه المطبوعة والمخطوطة، فأوصلها إلى أكثر من أربعمائة كتاب. وقد ظهر في عام ١٩٧٧م بالرباط بالمغرب، كتاب بعنوان: «مكتبة الجلال السيوطي» لأحمد الشرقاوي إقبال، الذي يقول في مقدمة كتابه هذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ص٣٩): «فأما الذي انتهيت إليه في إحصائها، بعد الفحص المستقصى، والتفتيش المستتبع، فكان ٧٢٥ مؤلفاً، سوى المكرور والمنحول، وأخرجت المطبعة منها نيفا ومائتين (٢٠٤ حسبما وقفت عليه). وماتزال المكتبات العامة والخاصة تختزن منها قرابة المائتين (١٧٣ فيما تأدَّى إليَّ). أما الباقي فهو مفقود، أو في حكم المفقود».

هذا، وقد سمعت بأخرة أن أحمد الخازندار، صنف كتابا في مؤلفات السيوطي، وبلغت عنده نحواً من ٩٠٠ كتاب ورسالة.

* * *

أما كتاب: «الأشباه والنظائر في النحو» للسيوطي، وهو مانفصل القول فيه هنا، فقد طبع ثلاث مرات، أولاها في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٩ - ١٣٦١هـ. والثانية بعناية طه عبد الرؤوف سعد، ونشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٩٧٥م. والثالثة، وهي التي نعتمد عليها هنا، بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، ونشر مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٨٥م. وقد علمت أن هناك نشرة رابعة للكتاب في دمشق، بتحقيق الدكتور عبد الإله نبهان(١).

وقد ألف السيوطي هذا الكتاب مرتين، غير أن التأليف الأول ضاع، بعد أن حبسه السيوطي عن الإفادة منه سبع عشرة سنة، فألفه تأليفاً ثانيا، وهو الذي بين أيدينا اليوم؛ يقول السيوطي: «وكان مما سودت منه كتاب طريف لم أسبق إلى مثله... ضمنته القواعد النحوية، ذوات الأشباه والنظائر... ولم يكن انتهى المقصود منه لاحتياجه إلى إلحاق، ولاسُوِّد بتسطير جميع ماأرصده

[(١) نُشر كتاب الأشباه والنظائر في النحو في أربعة أجزاء بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان ورفاقه (طبع مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٧ / المجلة].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له من بياض الأوراق، فحبسته بضع عشرة سنة، وحُرم منه الكاتبون والمطالعون. ثم قَدَّر الله أني أُصبت بفقده، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فاستخرت الله تعالى في إعادة تأليفه ثانيا، والعَوْدُ - إن شاء الله تعالى - أحمد، وعزمت على تجديده، طالبا من الله سبحانه وتعالى المعونة، فهو أجلّ من في المهمات يقصد» (الأشباه والنظائر ١ / ٥).

ويُبين السيوطي عن غرضه من تأليف كتابه: «الأشباه والنظائر في النحو»، وهو أنه يريد أن يحذو في النحو، حذو بعض العلماء الذين ألفوا في «الأشباه والنظائر في الفقه». وهو نفسه يقول (١ / ٦): «واعلم أن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب الأول (الذي ضاع) أني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه، فيما صنفه المتأخرون فيه، وألفوه من كتب الأشباه والنظائر».

وأخذ السيوطي بعد ذلك في ذكر عدد من كتب «الأشباه والنظائر في الفقه»، وذكر له كتابا في ذلك الموضوع، وقال عنه (١ / ٨): «وألفت كتاب: الأشباه والنظائر في الفقه، مرتبا على أسلوبٍ آخر، يعرف من مراجعته».

وقد تناول السيوطي في مقدمته موضوعات الكتاب بالشرح والتحليل، مبينا منهجه من هذه الموضوعات؛ فقال (١ / ١٠-١٢): «وهذا الكتاب مشتمل بحمد الله على سبعة فنون:

الأول: فن القواعد والأصول، التي ترد إليها الجزئيات والفروع، وهو مرتب على حروف المعجم، وهو معظم الكتاب ومهمه. وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق، وأشبعت القول فيه، وأوردت في ضمن كل قاعدة، مالأئمة العربية فيها من مقال وتحرير، وتنكيت وتهذيب، واعتراض وانتقاد، وجواب وإيراد...

الثاني: فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات. وهو مرتب على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأبواب، لاختصاص كل ضابط ببابه...

الثالث: فن بناء المسائل بعضها على بعض. وقد ألفتُ فيه قديماً تأليفاً لطيفاً مسمى بالسلسلة، كما سمى الجويني تأليفه في الفقه بذلك...

الرابع: فن الجمع والفرق.

الخامس: فن الألغاز والأحاجي، والمطارحات والممتحنات. وجمعتها كلَّها في فن؛ لأنها متقاربة، كما أشار إليه الإسنوى في أول ألغازه.

السادس: فن المناظرات، والمجالسات، والمذاكرات، والمراجعات، والمحاورات، والفتاوى، والواقعات، والمراسلات، والمكاتبات.

السابع: فن الأفراد والغرائب.

«وقد أفردت كل فن بخطبة وتسمية؛ ليكون كل فن من السبعة تأليفا مفردا. ومجموع السبعة هو كتاب: الأشباه والنظائر، فدونك مؤلَّفاً تشد إليه الرحال، وتتنافس في تحصيله فحول الرجال».

وقد خالف السيوطي في نص الكتاب، بين الفنين الأخيرين، فجعل السادس للأفراد والغرائب، والسابع للمناظرات والمجالسات. ويبدو أن هذا الخلل، قد حدث في بعض أوراق المخطوطات القديمة للكتاب، ولم يفطن إليه النساخ المتأخرون، كما لم يفطن إلى ذلك محقق الكتاب.

ولعل الدليل على صحة هذا الظن، تطابق ماجاء من توزيع فنون الكتاب في هذه المقدمة، مع ماذكره السيوطي نفسه، في كتاب: «التحدث بنعمة الله» (ص ٢٧٣) حين قال: «الأشباه والنظائر: لم أسبق إليه. وهو سبعة أقسام، كل قسم مؤلف مستقل، له خطبة واسم. ومجموعه هو: الأشباه والنظائر:

الأول: يسمى المصاعد العلية في القواعد الكلية.

والثاني: يسمى تدريب أو الطلب في ضوابط كلام العرب.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والثالث: يسمى سلسلة الذهب في البناء من كلام العرب.

والرابع: يسمى اللمع والبرق في الجمع والفرق.

والخامس: يسمى الطراز في الألغاز.

والسادس: في المناظرات والمجالسات والمطارحات (في الأصل: المصارحات!)

والسابع: يسمى التبر الذائب في الأفراد والغرائب.»

هذا، ولم يجعل السيوطي المسائل النحوية، التي وضعها في آخر الكتاب فناً بعينه. وقد غلط المحقق، فأعطاها عنواناً مكرراً، وهو «الفن السابع». وهذا العنوان لاوجود له في طبعة حيدر آباد الدكن بالهند.

* * *

ويبدأ كتاب: «الأشباه والنظائر» بعد عرض التقسيم السابق، بكلمة عن: نشأة النحو، نقل فيها عن أمالي الزجاجي (ص٢٣٨) الحديث الذي يقال إنه دار بين علي بن أبي طالب وأبي الأسود الدؤلي في هذا الموضوع. وقد نقل السيوطي عن مصادره بعد ذلك انقطاع إسناد هذا الحديث، فقال (١ / ١٣-١٤): «قال ابن عساكر في (تاريخه): كان أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل النحوي، المعروف بابن المكبِّريّ، يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود الدؤلي، التي ألقاها عليه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان كثيراً مايَعِد بها أصحاب الحديث إلى أن دفعها إلى الفقيه أبي العباس أحمد بن منصور المالكي، وكتبها عنه، وسمعها منه في سنة ست وستين وأربعمائة؛ وإذا به قد ركّب عليها إسناداً، لاحقيقة له، وصورته:

«قال أبو إسحاق إبراهيم بن عقيل: حدثني أبو طالب عبيد الله بن أحمد بن نصر بن يعقوب بالبصرة، حدثني يحيى بن أبي بُكير الكِرْماني، حدثني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إسرائيل، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، قال: وحدثني محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش، عن عمه، عن عبيد الله بن أبي رافع: أن أبا الأسود الدؤلي، دخل على عليّ رضي الله عنه. وذكر التعليقة.

«فلما وقفت على ذلك، بيَّنت لأبي العباس أحمد بن منصور، أن يحيى بن أبي بُكَير الكِرْماني، مات سنة ثمان ومائتين، فجعل إبراهيم بن عقيل هذا بين نفسه وبين يحيى بن بكير رجلا واحداً. وهذه التي سماها (التعليقة) هي في أول (أمالي الزجاجي) نحو من عشرة أسطر، فجعلها إبراهيم قريباً من عشرة أوراق. انتهى».

* * *

وأما الفن الأول من فنون الأشباه والنظائر (وهو فن القواعد والأصول العامة، وقد سماه السيوطي: المصاعد العلية في القواعد النحوية) فهو مقسم على الأبواب، ومرتب ترتيبا هجائياً. والسيوطي في هذه الأبواب، يستوفي كل جزئيات الموضوع، التي يجمعها من كل مكان؛ ففي موضوع الإتباع، أول حرف الهمزة من هذا الفن، يذكر السيوطي: الحمدِ لله، والحمدُ لله، وامرؤٌ وابنُمٌ وامرأً وابنَماً وامرِئٍ وابنِم، وتَمَراتٍ وسِدِراتٍ وغُرُفات، ومِنْخِر ومِنْتِن، والحِسّ والجِرْس (بدلا من: الجَرْس) ورِجْسَ نِجْس (بدلا من: نَجَس)، وسلاسلا وأغلالا (بدلا من: سلاسل)، ومأزورات غير مأجورات (بدلا من: موزورات)، والغدايا والعشايا (بدلا من: الغدوات)، ولادريت ولاتليت (بدلا من: تلوت)، ورَبِّ الأرضين ومأقللن، ورب الشياطين ومأضللن (بدلا من: أضلوا)، وهن لهن (بدلا من: لهم، وهم أهل ذي الحليفة)، والوليد بن اليزيد (بدلا من: يزيد).

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الفن الثاني من فنون الأشباه والنظائر، وهو ماسماه السيوطي: «التدريب»، ويعني به «فن القواعد الخاصة، والضوابط، والاستثناءات، والتقسيمات، فقد رتبه المؤلف على الأبواب النحوية، بترتيب الألفية لابن مالك؛ كباب الألفاظ، وباب الكلمة وباب الاسم، وباب الفعل، وباب الحرف، وغير ذلك.

والسيوطي يفصل الكلام في كل باب من أبواب هذا الفن، ويذكر القواعد الكلية التي تخصه، ناقلا ذلك كله عن المصادر النحوية الأصيلة؛ فهو ينقل مثلا عن «الغُرّة» لابن الدهان أن «ثلاثة أشياء تتعاقب على المفرد، ولايوجد فيه منها اثنان، وهي: التنوين، والألف واللام، والإضافة» (٣/١١). وهذا يذكر بتقسيمات السريان للاسم في اللغة السريانية، إلى مطلق، ومضاف، ومعرف (انظر: في قواعد الساميات ١٩٢).

ويبالغ السيوطي أحياناً في استقصاء أماكن ورود الظاهرة في العربية؛ ففي مسوغات الابتداء بالنكرة (٣/١٠٧ - ١١٣)، ينقل عن بهاء الدين بن النحاس، في كتابه: «التعليقة على المقرب» اثنتين وثلاثين حالة للابتداء بالنكرة. ونقل عقب ذلك قول ابن النحاس: «فهذا ماحصل لي من تعداد الأماكن، التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة . ولاأدَّعي الإحاطة، فلعل غيري يقف على مالم أقف عليه، ويهتدي إلى مالم أهتد إليه».

وقد عثر السيوطي بعد ذلك، على مؤلف لواحد من النحاة المتأخرين لم يسمّه، أوصل هذه المواضع إلى أكثر من أربعين موضعا، فنقل منه مازاده من المواضع على ابن النحاس؛ يقول السيوطي (٣/١١٣): «ثم رأيت بعد ذلك مؤلفا لبعض المتأخرين، قال فيه: قد تتبع النحاة مسوغات الابتداء بالنكرة، وأنهاها بعض المتأخرين إلى اثنين وثلاثين . وقد أنهيتها بعون الله إلى نيف وأربعين».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد أن انتهى السيوطي في هذا الفن، من ذكر مسائل النحو والصرف، مرتبة في أبواب على نحو مافي ألفية ابن مالك ـ كما ذكرنا من قبل، لخص في تسع صفحات (٣/٣١٣ ـ ٣٢١) مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، من كتاب: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات بن الأنباري، وكتاب: «التبيين» لأبي البقاء العكبري.

* * *

والفن الثالث في كتاب: «الأشباه والنظائر»، عبارة عن باب صغير في بناء المسائل بعضها على بعض، وهو أن يختلف النحاة في الرأي، أو تفسير الظاهرة اللغوية، فيؤدي ذلك إلى اختلاف في الحكم النحوي.

مثال ذلك قول السيوطي (٣/٣٣١): «اختلف النحاة في الصرف، فمذهب المحققين، كما قال أبو البقاء في اللباب: أنه التنوين وحده. وقال آخرون: هو الجر مع التنوين. وينبني على هذا الخلاف، ماإذا أضيف مالاينصرف، أو دخلته (ال)؛ فعلى الأول: هو باق على منع صرفه، وإنما يجر بالكسرة فقط. وعلى الثاني: هو منصرف».

* * *

والفن الرابع في «الأشباه والنظائر» سماه السيوطي (٤/٦): «اللمع والبرق في الجمع والفرق». ويقصد به الأبواب المتشابهة المفترقة في كثير من الأحكام، والمسائل المتشابهة المفترقة في الحكم والعلة.

مثال الأول: إعراب المتعجب منه على طريقة: (ماأفْعَلَه) مفعولا، وعلى طريقة: (أفْعِلْ به) فاعلا، مع أن المعنى عندهم واحد.

ومثال الثاني: ماحكاه السيوطي عن صاحب (البسيط) من قوله (٤/٧٩): «التعجب والتفضيل يشتركان في اللفظ والمعنى. أما اللفظ فلتركبهما من ثلاثة أحرف أصول وهمزة. وأما المعنى فلأن (ماأعلَمَ زيداً)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و (زيد أعلم من عمرو) يشتركان في زيادة العلم، ويفترقان في أن (أَفْعَلَ) في التعجب ينصب المفعول به، و (أَفْعَلُ) التفضيل لاينصبه على أشهر القولين».

* * *

والفن الخامس في «الأشباه والنظائر» سماه السيوطي: «الطراز في الألغاز». والمقصود هنا هو اللغز النحوي، وهو مايطلب به تفسير المعنى أو وجه الإعراب.

ومصادر السيوطي في هذا الفن هي:

١ ـ موقظ الوسنان وموقد الأذهان، لابن هشام الأنصاري (نشره حسن إسماعيل مروة، في دمشق ١٩٨٨م).

٢ ـ المقامة الرابعة والعشرون النحوية من مقامات الحريري (شرح الشريشي ٢/٢ـ ٢٧).

٣ ـ الأحاجي النحوية للزمخشري (نشرته بهيجة باقر الحسني في بغداد ١٩٧٣م، بعنوان: المحاجاة بالمسائل النحوية).

٤ ـ أحاجي السخاوي.

٥ ـ أمالي ابن الشجري (نشر في حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٤٩هـ. ثم نشره الدكتور محمود محمد الطناحي بالقاهرة سنة ١٩٩٢م).

٦ ـ ألغاز الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

٧ ـ كراسة فيها ألغاز منظومة، لم يذكر مؤلفها[1].

كما نقل السيوطي في هذا الفن، بعض الألغاز المفردة من المعري سليمان بن علي (تفسير أبيات المعاني نشر مجاهد الصواف بدمشق ١٩٧٩م) وابن الصائغ، والدماميني، والخوارزمي، وشيئاً من ألغازه هو شعرا ونثرا.

[(١) ذكر محقق الجزء الثاني من الأشباه والنظائر، ص ٦٨١ (ط. مجمع اللغة العربية بدمشق) أن مؤلف الألغاز هو ابن لبّ النحوي الأندلسي/ المجلة].

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الفن السادس من فنون الكتاب، وهو بعنوان: «الأفراد والغرائب»، فقد أورد فيه السيوطي الآراء النحوية، التي انفرد بها أصحابها، والآراء الغريبة لبعض نحاة العربية.

فمن أمثلة النوع الأول قول السيوطي (٦/٥): «قال ابن هشام: اشتهر بين النحويين أن الحرف يدل على معنى في غيره. ونازعهم الشيخ بهاء الدين بن النحاس في ذلك في (التعليقة)، وزعم أنه دال على معنى في نفسه. وهو موضع يحتاج إلى فضل نظر. انتهى».

ومن أمثلة النوع الثاني قول السيوطي (١٦/٥): «قال ابن هشام في (تذكرته): ذكر ثعلب في أماليه أنه يقال: ناب هذا عن هذا نَوْباً. ولايجوز: ناب عنه نيابة. وهو غريب».

هذا مانقله السيوطي. والذي في لسان العرب (نوب) ٢٧٢/٣: «ناب عني فلان ينوب نَوْباً ومَنَاباً، أي قام مقامي. وناب عني في هذا الأمر نيابة، إذا قام مقامك»!

* * *

أما الفن السابع والأخير من فنون الكتاب، وهو بعنوان: «فن المناظرات والمجالسات» فقد استقى السيوطي مادته من كتاب: «مجالس العلماء» للزجاجي، ولكنه لم يكن على يقين من نسبة هذا الكتاب للزجاجي، حين قال في واحد من هذه المجالس (٦٢/٥): «ذكر صاحب الكتاب المسمى: غرائب مجالس النحويين الزائدة على تصنيف المصنفين، ولم أقف على اسم مصنفه، وأظنه لأبي القاسم الزجاجي».

وقد صحح عبد السلام هارون هذا الظن، في مقدمة تحقيقه لكتاب «مجالس العلماء» لأبي القاسم الزجاجي.

ويرجع السيوطي في هذا الفن كذلك إلى «أمالي الزجاجي»، كما رجع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مجلس للخليل مع سيبويه إلى «تذكرة النحاة» لأبي حيان، وقال في أوله (٣٥/٥): «ذكره أبو حيان في تذكرته. وأظنه أخذه من كتاب: غرائب مجالس النحويين الآتي ذكره». وفي مجلس آخر لأبي إسحاق الزجاج مع جماعته، قال السيوطي (٣٧/٥): «ذكره أبو حيان في تذكرته. وهو في كتاب المجالس المشار إليه، وأظنه تأليف تلميذه أبي القاسم الزجاجي، فإنه قال فيه: قال لنا أبو إسحاق يوما في مجلسه».

كما يرجع السيوطي في هذا الفن أيضاً إلى كتاب: «برق الشهاب» لغازي بن محمد الأسدي الواسطي، وقد قال بعد انتهاء اقتباسه عن هذا الكتاب (٤٤/٥): «أخرج هذه القصة أبو القاسم الزجاجي في أماليه (انظر: أمالي الزجاجي ٦٠- ٦٢). ومن مصادره هنا كذلك: كتاب «طبقات النحويين واللغويين» لأبي بكر الزبيدي (٤٦/٥)، وكتاب «إيضاح علل النحو» للزجاجي (١٠٩/٥).

* * *

وينتهي كتاب «الأشباه والنظائر» للسيوطي، بذكر بعض المسائل النحوية الغامضة، أو التي يلتبس أمرها على كثير من الناس. وقد بدأها السيوطي بإحدى عشرة مسألة، سأل عنها أبو بكر الشيباني أبا القاسم الزجاجي، في كتاب أنفذه إليه من طبرية إلى دمشق. ومما قاله الزجاجي في أولها (١١٣/٥): «ووقفت على ماضمنته من المسائل التي اشتبهت عليك، وبادرت إليك بتفسيرها في هذا الكتاب، لعلمي بتعلق قلبك بها».

وقد نقل السيوطي هذه المسائل النحوية الغامضة، من أمالي ابن الشجري، وأمالي ابن الحاجب، والمسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي، ومجالس ثعلب، وشرح التسهيل لأبي حيان، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، والتعليقة لبهاء الدين بن النحاس، والمقرب لابن عصفور عن الحميدي في جذوة المقتبس.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما رجع السيوطي هنا إلى كتب كثيرة بعنوان: «التذكرة» لابن هشام، وأبي حيان، وأبي علي الفارسي، وابن مكتوم، وابن الصائغ . ونقل السيوطي كذلك بعض مسائل هذا القسم عن كتاب: «سفر السعادة وسفير الإفادة» لعلم الدين السخاوي، كما نقل عنه أيضاً: «المسائل العشر المتعبات إلى الحشر» لأبي نزار ملك النحاة.

وفي هذا القسم نقول كثيرة كذلك عن: معجم الأدباء لياقوت الحموي، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، والطبقات الكبرى لتاج الدين السبكي، والإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات بن الأنباري.

ومما يلفت النظر في هذا القسم على وجه الخصوص، أن السيوطي نقل فيه مجموعة من الرسائل النحوية واللغوية برمتها. وفيما يلي بيانها:

١ ـ «المسائل السَّفَرِيّة في النحو»، لابن هشام الأنصاري (٦/١٣٠ ـ ١٦٩). وهذه الرسالة نشرها الدكتور حاتم صالح الضامن، في مؤسسة الرسالة ببيروت في سنة ١٩٨٣م، ثم أعاد نشرها هناك سنة ١٩٨٨م. كما نشرها أيضاً حسن إسماعيل مروة، في مجموع بعنوان: «من رسائل ابن هشام النحوية» وذلك في دمشق سنة ١٩٨٨م.

٢ ـ «فوح الشذا بمسألة كذا»، لابن هشام الأنصاري (٧/٢٧١ ـ ٢٩٣). وهذه الرسالة نشرها الدكتور أحمد مطلوب في بغداد سنة ١٩٦٣م.

٣ ـ «الرفدة في معنى وحده»، لتقي الدين السبكي (٧/١٧١ ـ ١٨٢).

٤ ـ «الحلم (في الأصل: الحكم وهو تحريف يوجد كذلك في نشرة الهند) والأناة، في إعراب: غير ناظرين إناه»، لتقي الدين السبكي (٧/٢٠٠ ـ ٢١٧).

٥ ـ «المخاطبة التي جرت بين الزجاج وثعلب، وانتصار ابن خالويه لثعلب». استخرجها السيوطي من كتاب: «التنزه والابتهاج» للشمشاطي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٨/٥ - ٢٤).

٦ - «الوضع الباهر في رفع أفعل الظاهر»، لمحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن الصائغ (٨/١٣٨ - ١٦٥).

٧ - الادّكار بالمسائل الفقهية»، لأبي القاسم الزجاجي (٨/٢٢٨ - ٢٥٣). قال السيوطي في آخره: «هذا آخر الكتاب، كتبته من خط مؤلفه رحمه الله تعالى».

٨ - «رسالة الملائكة»، لأبي العلاء المعري. نقل السيوطي كثيراً منها عن كتاب: «الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ»، لأبي الفضل مؤيد بن موفق الصاحبي (٨/٦٣ - ١٠٦): أكثر من خمسين صفحة (انظر: رسالة الملائكة ١-٥٧).

٩ - «بحث في ضربي زيدا قائما»، للسيوطي (٨/٢٨١ - ٢٨٩).

١٠- «تحفة النجباء في قولهم: هذا بسرا أطيب منه رطبا»، للسيوطي (٨/٢٩٠ - ٣٠٠).

* * *

هذا هو عرض مختصر لفنون هذا الكتاب العظيم «الأشباه والنظائر في النحو». حتى إذا أتينا إلى مصادر السيوطي فيه، فإننا نجد أن معظمها من أمهات كتب النحو، التي ألفت في العربية، من أيام سيبويه إلى عصر السيوطي.

ويأتي اعتماد الإمام السيوطي، في المقام الأول بعد كتاب سيبويه، على كتابين من هذه الكتب النحوية، وهما: «البسيط» لابن العلج. وقد ورد اسم مؤلف هذا الكتاب لأول مرة، في الجزء الرابع من:«الأشباه والنظائر»، وقال السيوطي في هذا الموضع (٤/٧): «وممن ذهب إلى الترادف (بين الكلام والجملة) ضياء الدين بن العلج، صاحب (البسيط) في النحو. وهو كتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كبير نفيس، في عدة مجلدات».

وفيما عدا هذا الموضع، كان السيوطي يذكر الكتاب باسم: (البسيط) أو (صاحب البسيط). وقد وهم الدكتور عبد العال سالم مكرم محقق الكتاب، حين ذكر (في هامش ١/٧٣) أن مؤلف البسيط هو: ركن الدين حسن بن محمد الأستراباذي، المتوفى سنة ٧٧٧هـ.

هذا، ولم نعثر حتى الآن على ترجمة لابن العلج، غير أننا نجد له ذكراً في كتاب «المساعد» لابن عقيل (١/٤٠٥). انظر ترجمته في طبقات ابن شيبة /١

أما الكتاب الثاني الذي أكثر الإمام السيوطي من النقل عنه، فهو «التعليقة على المقرب» لبهاء الدين بن النحاس.

وقد بلغت كتب النحو، التي استخدمها السيوطي، حوالي مائة كتاب، منها: بعض كتب أبي حيان الأندلسي، كارتشاف الضَّرَب، وتذكرة النحاة، وشرح التسهيل. ومنها: المفصل للزمخشري، وشروحه لابن يعيش، والأندلسي، والشلوبين، والسخاوي، والزملكاني، وابن الحاجب، وابن عمرون. ومنها: بعض كتب ابن هشام الأنصاري، كالتذكرة، وحواشي التسهيل، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وفوح الشذا بمسألة كذا، وموقظ الوسنان وموقد الأذهان.

ومنها: الجمل للزجاجي، وشروحه لابن عصفور، وابن خروف، وابن الضائع، والأعلم الشنتمري. ومنها: بعض كتب أبي علي الفارسي، كالإيضاح، وشروحه لابن أبي الربيع، وعبد القاهر الجرجاني، وابن الدهان، وابن عصفور، وابن هشام الخضراوي، والخَفَّاف، وأبي البقاء العكبري. ولأبي علي الفارسي كذلك: التذكرة، والأغفال، والبغداديات، والقصريات، والحجة في القراءات السبع.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها: بعض كتب ابن مالك؛ مثل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وشروحه لابن مالك مؤلِّفِه، وأبي حيان الأندلسي، وابن هشام الأنصاري (حواش) وابن الناظم (تكملة شرح التسهيل). ولابن مالك كذلك: الألفية، وشروحها لابن الصائغ، وابن الخباز، وابن المصنف. وله أيضاً: الكافية الشافية، وشرح عمدة الحافظ وعُدّة اللافظ.

ومن كتب النحو التي رجع إليها السيوطي كذلك: شرح الجزولية، لكل من الأُبَّذيّ، والشلوبين، وابن الخباز، وابن معط. ومنها: الكافية في النحو لابن الحاجب، وشروحها لابن القواس، والرضي الأستراباذي. والشافية في الصرف لابن الحاجب أيضاً، وشروحها للجاربردي، والسخاوي. وألفية ابن معط، وشرحها لابن القواس.

ومن الكتب النحوية كذلك: اللباب لأبي البقاء العكبري، والمسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسي، والمقرب لابن عصفور، والمقتضب للمبرد، ونتائج الفكر للسهيلي، والنكت للأعلم الشنتمري.

ومن كتب الخلاف بين النحاة، يرجع السيوطي إلى الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات بن الأنباري، والتبيين عن مذاهب البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري.

* * *

ويعد كتاب «الخصائص» لابن جني، من أهم كتب اللغة، التي اعتمد عليها السيوطي في كتابه: «الأشباه والنظائر»؛ فكثيراً ماكان ينقل عنه أبوابا كاملة؛ مثل ١/٥١ - ٦١ (= الخصائص ٣/٨٧ - ٩٣) ومثل ١/٦٢ - ٦٧ (= الخصائص ١/٣١٢ - ٣٢١). ومن نقوله المطولة عنه: باب التعويض ١/٢٥٧ - ٢٩٣ (= الخصائص ٢/٢٨٥ - ٣٠٦).

ومن كتب ابن جني التي رجع إليها السيوطي كذلك: سر صناعة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإعراب، والخاطريات، والتعاقب، والدمشقيات، واللمع.

ومن **كتب اللغة** كذلك: المزهر للسيوطي (وفي هذا دلالة على أنه ألفه قبل الأشباه والنظائر)، والاشتقاق لابن دريد، والاشتقاق الكبير للزجاج، وإيضاح علل النحو للزجاجي (يسميه السيوطي أحياناً: الإيضاح ١/٢١٠ وإيضاح أسرار النحو ١/٢٠٠ والإيضاح في أسرار النحو ٢/٤٣). ومنها أيضا: المذكر والمؤنث لأبي حاتم السجستاني، والمعرب للجواليقي.

وأما **المعاجم العربية** التي أفاد منها السيوطي، فهي: الألفاظ لابن السكيت، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وتهذيب اللغة للأزهري، وجمهرة اللغة لابن دريد، وديوان الأدب للفارابي، والصحاح للجوهري، والعين للخليل بن أحمد، ومجمل اللغة لابن فارس، والمحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني.

ومن **كتب الأدب والأمالي**: رجع السيوطي إلى شرح المعلقات للنحاس، والزاهر لأبي بكر بن الأنباري، وشرح المقامات للمطرزي، والكامل للمبرد، وأمالي الزجاجي، وأمالي ثعلب، وأمالي ابن الحاجب، وأمالي ابن الشجري.

ومما رجع إليه السيوطي من **كتب التفسير**: الكشاف للزمخشري، وحواشيه للشيخ أكمل الدين، وسعد الدين التفتازاني، والشريف الجرجاني، والقطب، والطيبي. ومنها كذلك: تفسير الثعلبي، وتفسير ابن النقيب، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير البيضاوي، ومعاني القرآن للزجاج.

وفي **الحديث**: رجع السيوطي إلى شرح مسلم للنووي، وصحيح البخاري ومسلم، والغريبين للهروي، والفائق للزمخشري، وكتاب السنن للباجي، ومسند أحمد بن حنبل، والنهاية لابن الأثير، وأطراف الكتب الستة للحافظ المِزّي، وشهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النبوية، للقاضي محمد بن سلامة القضاعي.

أما **كتب القراءات**، فقد رأى منها السيوطي: الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي، والشاطبية للشاطبي، وشرحها للسخاوي، والمحتسب لابن جني، وشرحه لابن بابشاذ، والمفيد في معرفة التحقيق والتجويد، لثابت الخولاني الحداد.

ومن **كتب التراجم والطبقات والتاريخ والسيرة**، رجع السيوطي إلى: إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، وتاريخ بغداد لمحب الدين بن النجار، وتاريخ ابن عساكر، وجذوة المقتبس للحميدي، والروض الأنف للسهيلي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والصلة لابن بشكوال، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وطبقات الكمال بن الأنباري (نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات كمال الدين بن الأنباري)، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي.

وأما **كتب الفقه وأصوله**، فقد رأى منها السيوطي: الجواهر الثمينة على مذهب عالم المدينة في الفروع، لابن شاش الجذامي المالكي، وسلسلة الواصل في فروع الشافعية للإمام الجويني، وسلاسل الذهب في الأصول لبدر الدين الزركشي، والقواعد الكبرى لبدر الدين الزركشي، والمحرر في الفقه لابن عبد الهادي.

ومما رجع إليه السيوطي من **كتب لحن العامة، والأحاجي النحوية**: الأحاجي النحوية للزمخشري، وأحاجي السخاوي، وإصلاح الغلط لابن قتيبة، وتنوير الدياجي في تفسير الأحاجي للسخاوي، ودرة الغواص للحريري، والفصيح لثعلب، وليس في كلام العرب لابن خالويه.

ومن **كتب البلاغة، وحروف المعاني**، رجع السيوطي إلى: الجنى الداني في حروف المعاني لابن أم قاسم المرادي، ورصف المباني في شرح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حروف المعاني للمالقي، والتبيان في علم البيان لعبد الواحد بن عبد الكريم.

* * *

تلك هي مصادر السيوطي في «الأشباه والنظائر». ومعظم هذه المصادر مطبوع أو مخطوط حتى يومنا هذا. وبالإحصاء التقريبي، يتبين لنا أن نسبة النصوص التي نقلها السيوطي من كتب مفقودة، تمثل ٢٥٪ من جملة النصوص الواردة في الكتاب. وبهذا يتضح لنا مدى أصالة هذه النصوص التي فقد أصلها، وحفظها لنا الإمام الجليل جلال الدين السيوطي، في هذا السفر النفيس!

هذا، ويمكننا هنا أن نلاحظ في معاملة الإمام السيوطي، لمصادره المختلفة، الملاحظات التالية:

١ ـ يتدخل السيوطي في النصوص التي يقتبسها في كتابه «الأشباه والنظائر». ويكون ذلك بالزيادة أحياناً؛ كقوله مثلا (١/٦٧): «قلت: وقد خُرِّج على ذلك قراءة: ﴿ألم تَرْ إلى الملأ من بني إسرائيل﴾ بسكون الراء».

وأحيانا أخرى يتدخل السيوطي بالتغيير في النصوص. ومن أمثلة ذلك نقله عن الخصائص (١/٣١٤) نصا يقول فيه ابن جني: «فإن قيل: هلا أُخِّرت (إنّ) وقدمت اللام؟ قيل: لفساد ذلك من أوجه، أحدها: أن اللام...»الخ. فقال السيوطي (١/١٥٧)، مغيرا في عبارة ابن جني: «وإنما أخرت اللام، ولم تؤخر (إنّ) لأوجه منها: أن اللام...»الخ. ثم اختصر مابعد ذلك اختصاراً شديداً.!

وهو يرى في شبه تبرير لذلك (١/٧٠) أن الاختصار «جل مقصد العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم. ومن ثم وضعوا باب الضمائر؛ لأنه أخصر من الظواهر، خصوصا ضمير الغيبة، فإنه يقوم مقام أسماء كثيرة، فإنه في قوله تعالى: ﴿أعد لهم مغفرة﴾ قام مقام عشرين ظاهرا».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يقصد: المسلمين/ والمسلمات/ والمؤمنين/ والمؤمنات/ والقانتين/ والقانتات/ والصادقين/ والصادقات/ والصابرين/ والصابرات/والخاشعين/ والخاشعات/ والمتصدقين/ والمتصدقات/ والصائمين/ والصائمات/ والحافظين فروجهم/ والحافظات/ والذاكرين الله كثيرا/ والذاكرات.

٢ ـ يكتفي السيوطي أحيانا بذكر اسم المؤلف، دون أن يذكر كتابه، كما يفعل ذلك دائماً مع سيبويه. وفي بعض المواضع، يمكن تخمين اسم الكتاب من فحوى العبارة، كما في مثل قوله (١/١٣٨):

«فأما الحد، فأقرب عبارة فيه ماذكر الرماني، وهو قوله: الاشتقاق اقتطاع فرع من أصل، يدور في تصاريفه الأصل». فهذا الكلام للرماني، يوجد في كتابه: «الحدود» (ص٣٩).

٣ ـ أحيانا كثيرة ينقل السيوطي نقولا مطولة من بعض الكتب، ثم يتبعها بتتمات من عدة كتب أخرى؛ فهو قد نقل مثلا إحدى وعشرين صفحة كاملة، من كتاب: «الخصائص» لابن جني (٢/٢٨٥ ـ ٣٠٦)، وهي بعنوان: «باب زيادة حرف عوضا من آخر محذوف»، ووضعها في باب بعنوان: «التعويض» (١/٢٥٧ ـ ٢٩٣). ويقول السيوطي في نهاية هذا الاقتباس المطول: «انتهى ماأورده ابن جني في هذا الباب، وبقي تتمات نوردها مزيدة عليها». وقد نقل الإمام السيوطي هذه التتمات من شرح التسهيل لابن مالك، والجمهرة لابن دريد، والتعليقة لبهاء الدين بن النحاس، وبعض مؤلفات لم يصرح بأسمائها، لابن خالويه، وأبي حيان، والزمخشري.

٤ ـ يعرض السيوطي في بعض الأحيان شيئاً من المؤلفات الصغيرة الحجم، أو يذكر مقدماتها، كما فعل مع كتاب: «التعاقب» لابن جني؛ إذ نقل مقدمته فقال (١/٣٠١ ـ ٣٠٢): «وقد ألف ابن جني كتاب (التعاقب) في أقسام البدل والمبدل منه، والعوض والمعوض. وقال في أوله: اعلم أن كل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

واحد من ضربي التعاقب، وهما البدل والعوض، قد يقع في الاستعمال موضع صاحبه. وربما امتاز أحدهما بالموضع دون رسيله، إلا أن البدل أعم استعمالا من العوض، وذلك أنا نقول: إن ألف (قام) بدل من الواو في (قَوَمَ)، ولا نقول: إنها عوض منها.

«ونقول: إن الميم في آخر (اللهم) بدل من (يا) في أوله، كما نقول: إنها عوض منها. وإن ياء (أينق) بدل من عينها، كما نقول: إنها عوض منها. أو لاترى إلى سعة البدل، وضيق العوض؟!

«وكذلك جميع مااستقريته تجد البدل فيه شائعاً، والعوض ضيقا. فكل عوض بدل، وليس كلُ بدل عوضا».

٥ ـ كان السيوطي في أحيان قليلة، ينقل مختصرا لأحد العلماء، عن كتاب مشهور جدا. ومن أمثلة ذلك ماصنعه مع نص لابن جني بعنوان: «باب الجوار» في كتاب الخصائص (١/٣١٨ ـ ٣٢٧)؛ إذ أعجبه تلخيص ابن هشام الأنصاري في «المغني» لهذا الباب في الخصائص، فنقله وقال في أوله (٢/١٠ ـ ١٧): «ولخصه ابن هشام في المغني بزيادة ونقص، فقال:...».

٦ ـ كثيرا ماكان السيوطي يرجع إلى كتب موثقة، بخطوط أصحابها؛ مثل قوله (٢/٢٨٢): «قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في (التعليقة): وجدتُ ذلك بخط عالي بن عثمان بن جني عن أبيه».ويقول السيوطي بعد ذلك بعدّة سطور، معلنا عن شكواه من لصوص العلم: «وانظر إلى دين الشيخ بهاء الدين وأمانته، كيف وجد فائدة بخط ولد ابن جني نقلها عن أبيه، ولم تسطر في كتاب، فنقلها عنه، ولم يستجز ذكرها من غير عزو إليه، لا كالسارق الذي أغار على تصانيفي، التي أقمت في تتبعها سنين، وهي كتاب: المعجزات الكبير، وكتاب: الخصائص الصغرى، وغير ذلك، فسرقها وضمّها وغيرَها مما سرقه من كتب الخضيري والسخاوي في مجموع وادعاه لنفسه،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يَعْزُ إلى كتبي وكتب الخضيري والسخاوي شيئاً مما نقله منها. وليس هذا من أداء الأمانة في العلم».

وهذه مواضع أخرى ينقل فيها السيوطي من خطوط العلماء:

٤/٢٦١: «نقلت من خط العلامة شمس الدين بن الصائغ، قال: هذه ألغاز نحوية عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام».

٦/١٢١: «وجدت بخط الشيخ شمس الدين بن القماح، في مجموع له».

٧/٣٤: «نقلت هذه الترجمة من خط العلامة فريد دهره الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله».

٧/٢٦٣: «شاهدت بخط الإمام العلامة ركن الدين أبي عبد الله الشهير بابن القوبع، رحمه الله».

٨/١١٧: «نقلت من خط بعض الفضلاء»!

٨/١٣٢: «وجدت بخط العلامة شمس الدين بن الصائغ مانصه».

٧ ـ أحيانا ينقل السيوطي عن بعض مصادره بالواسطة، فهو مثلا يعرف كتاب: «الغريب المصنف» لأبي عبيد القاسم بن سلام، ومع ذلك نراه في أحد المواضع يقول (١/١٦٤): «وقال أبو عبيد فيما حكى عنه صاحب الصحاح».

وأحيانا أخرى نرى السيوطي يجهل مصادره، كقوله مثلا:

٢/٤: «بعض شراح الجمل» ٢/٢٣٨: «في شرح الجمل» ٢/٤٢٦: «بعض حواشي الكشاف».

٨ ـ يلحظ الإمام السيوطي أنه أطال النقل في بعض الأحيان، عن واحد من مصادره، وأورد الكتب والأعلام، التي أوردها هذا المصدر، فيبين لذلك نهايةَ هذا النقل. ومن أمثلة ذلك قوله (٢/٣٢٨ ـ ٣٣٠): « قال ابن هشام في (المغني): أول من شرط للحذف ألا يكون مؤكِّداً الأخفش... وتبعه الفارسي، فرد في كتاب: (الأغفال) قول الزجاج... وتبع أبا علي أبو الفتح، فقال في:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(الخصائص)... وتبعهم ابن مالك... وهؤلاء كلهم مخالفون للخليل وسيبويه... وقال الصفار... ولبدر الدين بن مالك، مع والده في المسألة بحث أجاد فيه. انتهى ماأورده ابن هشام في المغني».

وقد دلنا السيوطي بعد ذلك، على البحث الذي أشار إليه ابن هشام هنا، فقال: «والبحث الذي أشار إليه، هو ماقال ابن المصنف في شرح الألفية».

* * *

هذا هو موقف الإمام السيوطي من مصادره الكثيرة في هذا الكتاب. ولعله من المفيد أن نتوقف هنا قليلا، أمام بعض القضايا التي يثيرها السيوطي في مؤلَّفه، معبِّراً عن رأيه فيها، أو ناقلا لآراء السابقين:

١ ـ أثار السيوطي في «الأشباه والنظائر» مشكلة حذف التنوين من العلم الموصوف بابن؛ مثل: «هذا محمدُ بن عليّ»، فقال (١/٢٥): «وقد ذهب بعضهم إلى أن التنوين، إنما سقط لالتقاء الساكنين، سكونِهِ وسكون الباء بعده. وهو فاسد، إنما هو لكثرة استعمال: ابن».

والحقيقة التي لايعرفها النحاة العرب، وهي موجودة في اللغات السامية كلها، أن التنوين هو علامة التنكير في هذه اللغات. وقد كان بعض قدامى اللغويين العرب يعرفون ذلك؛ كابن جني الذي يقول في كتابه : المنصف (١/٦٩): «ويدل عندي على أن حرف التعريف قياسه أن يكون على حرف واحد، أنه نقيض التنوين، وذلك أن التنوين يدل على التنكير، واللام تدل على التعريف». كما يقول في الخصائص (٣/٦٥): «التنوين علم التنكير، والإضافة موضوعة للتعريف».

ودخول التنوين، وهو للتنكير ـ كما نقول ـ في الأعلام العربية؛ مثل: «محمدٌ» و «عليٌّ» أمر قد يبدو صعب التفسير؛ لأن العلم من المعارف، غير أنه يمكن أن يكون في كل علم شيء من الشيوع النسبي، وإن كان أقل من شيوع النكرة؛ إذ كثيرون يسمون بمحمد وعلي وغيرهما، فالتنوين في الأعلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للدلالة على هذا الشيوع النسبي؛ ولذلك نراه يزول عندما يوصف العلم بكلمة: (ابن)؛ لأن الدائرة قد ضاقت بهذا الوصف، وأصبح العلم محددا غاية التحديد، ببيان النسب، ولذلك لايدخله التنوين في هذه الحالة.

فليس حذف التنوين من العلم الموصوف بابن، بسبب التقاء الساكنين، أو كثرة الاستعمال ـ كما يذهب السيوطي والنحاة العرب، «بدليل حذفه من: هند بنت عاصم، على لغة من صرف هندا، وإن لم يلتق هنا ساكنان» (انظر: الاقتراح للسيوطي ٥٢).

ويدل كذلك على أن التنوين في الأعلام لتنكيرها: أنه إذا تحدّد تعريف العلم، تحديدا قاطعا بالنداء، مُنع التنوين؛ كقولنا مثلا: «يامحمدُ» و «ياعليُّ».

٢ ـ نقل السيوطي (٦٦/٣) عن كتاب: (البسيط) لضياء الدين بن العلج، أن «إسحاق: مصدر أسحق الضرعُ إذا ذهب لبنُه، ويعقوب لذكر الحَجَل (نوع من الطيور)، وموسى للحديدة التي يحلق بها».

ولو عرف النحاة العرب شيئاً من اللغات السامية أخوات العربية، لأدركوا السر في القول بعجمة هذه الألفاظ، وأن الأول منها هو المضارع في العبرية للماضي 𐤑𐤇𐤒 بمعنى: «ضحك». والثاني هو المضارع كذلك في العبرية للماضي 𐤏𐤒𐤁 بمعنى: «أعقب». والثالث هو اسم الفاعل 𐤌𐤔𐤊 في العبرية من الفعل 𐤌𐤔𐤊 بمعنى: «انتشل من الماء»، فهو اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي «المنتشل من الماء». ومجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول، ليس غريباً في العربية كذلك؛ مثل قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ بمعنى: «مرضية».

٣ ـ ويتردد السيوطي أحيانا في الحكم على ظاهرة لغوية في العربية، بناء على المصادر التي يرجع إليها؛ فهو يرى مثلا في أول «الأشباه والنظائر» (١/ ١٩) أن الذال في منذ «ضمت إتباعا لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزا»، غير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أنه يعود في الجزء الثالث (٣٥٢/٣) فيحكي «عن الفراء أن (منذ) أصلها (مِنْ) و (ذو) الطائية، بمعنى الذي». وهذا كلام صحيح تماما؛ فالكلمة في اللغة الحبشية القديمة وهي مكونة من التي تقابل في العربية (مِن) و H التي تقابل (ذو الطائية).

ومما يؤيد هذا ماروواه ابن منظور في لسان العرب (منذ) ٤٧/٥ من أنه قد «حكي عن بني سليم: مارأيته مِنْذُ ست، بكسر الميم» (وانظر كتابنا: التطور اللغوي ٤٣).

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net